اليهود والنصارى
في
الدولتين الأموية والعباسية

إعداد

د . يوسف عبد الحميد بن ناجي

تمهيد

يطلق على اليهود والنصارى فى التراث والحضارة الإسلامية ألقاباً شتى كان أشهرها: أهل الكتاب ، وأهل الذمة ، وحددت الشريعة لإسلامية حدوداً ووصايا للتعامل معهم ضمنت لهم حقوقا ، وألزمتهم بما عليهم من واجبات دون ظلم أو حيف وإجفاف فى حقهم .

إلا أن التطبيق العملى قد شابه بعد التجاوز الذى كان بسبب ظروف آنية للحدث ، أو للشخص الذى يتولى السلطة ، أو ممن يؤمرون بتطبيق الأحكام فربما يحيدون عن جادة الحق .

وفى الظروف الطبيعية تبعاً لأحكام الشريعة الإسلامية ، كان لأهل الذمة حرية تنظيم شؤونهم الداخلية كل حسب انتمائه اليهودى أو النصرانى أو على حسب معتقده وانتمائه المذهبى ، فكان يترك لهم حق التقاضى فيما بينهم ، وممارسة أمورهم متفقين أو مختلفين ، فإذا ما ظل خلافهم وفشلوا فى حله ، ثم عرضوا أمرهم على الحاكم أو القاضى المسلم كان عليهم الانصياع التام لحكمه وفقاً للشريعة الإسلامية [1]

---

[1] الماوردى (على بن محمد بن حبيب المصرى البغدادى) :- الأحكام السلطانية – القاهرة ١٢٩٨هـ / ص١٣٩ .

ويذكر البعض أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أعطى لرئيس اليهود أو متولى أمورهم لقب رأس الجالوت ،وجعل له سلطة إدارة شؤونهم فى الدولة الاسلامية انظر : عبد الرازق أحمد قنديل – المواريث فى اليهودية والإسلام – مركز الدراسات الشرقية – ج القاهرة – ٢٠٠٨م ص ١٢ ، ١٣

وعنى الفقهاء المسلمون بدفع المسلمين نحو إقامة علاقات ودية مع أهل الذمة ودمجهم فى المجتمع الإسلامى، وبالفعل نلحظ أن استقرار التعامل بعد الفتوحات الأولى قد جعل مؤرخاً يهودياً يذكر " شرع اليهود ينظرون بعين الإكبار والاحترام إلى جيوش المسلمين التى كانت تغمر كالسيل أقطار العالم ونواحيه بعد أن قضت على الدولة الرومية ، تلك الدولة التى اتسمت سياستها بالظلم وإراقة الدماء ، وقد كان اليهود فى أغلب مدن العراق يخرجون لاستقبال جيوش المسلمين بالحفاوة والإكرام لأنهم كانوا يؤثرونهم على غيرهم إذ يرون فيهم قوماً يؤمنون بإله موسى وإبراهيم .

ويذكر : ازدادت هذه الروابط مكانة مع امتداد الزمن حتى دخل اليهود فى جيوش المسلمين ليناضلوا معهم فى أقاليم الأندلس ، وينبغى ان لايغيب على البال أن الخسارة القليلة التى لحقت يهود الحجاز ضئيلة بالقياس إلى الفائدة التى اكتسبوها من ظهور الإسلام ، فقد أنقذ الفاتحون المسلمون آلافاً من اليهود كان منتشرين فى أقاليم الدولة الرومية يقاسون ألوان العذاب .

ويضيف المؤرخ : زد على ذلك أن اتصال اليهود بالمسلمين كان سبباً فى نهضة فكرية عظيمة عند اليهود بقيت آثارها فى تاريخ الأداب العربية والعبرية زمناً طويلاً"[٢]"

---

[٢] اسرائيل ولفنسون (أبوذؤيب) – تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام – مصر – ١٣٤٥هـ / ١٩٣٧م – ص /ى

ويذكر المسعودى [٣]: حضرت سنة ٣٣٠هـ ليلة الغطاس بمصر ، والإخشيد / محمد بن طغج راكباً والمشاعل فى كل مكان ، وقد حضر تلك الليلة مئة آلاف من الناس من المسلمين النصارى مع الأكل والمشارب والملابس وهى أحسن ليلة تكون بمصر ..... " .

ولم تظهر أية قيود تفرضها الإدارة الإسلامية فى العصر الأموى أو العباسى على اليهود والنصارى فى الإجراءات أو الممارسات أو حتى التقاليد السياسية المتعارف عليها حينئذ سوى لباسهم ودفعهم للجزية ، وأمور تنظيمية أخرى، ولم يشذ من هذه القاعدة سوى بعض الأوامر والتصرفات الشخصية من بعض الأفراد والحكام مثلما حدث فى عهد المتوكل بالله العباسى الذى أمر سنة ٢٣٥ هـ بان تفرض القيود ، وتحدد ملابس اهل الذمة فى كل بقاع الدولة العباسية، كما أنه قد أمر بمنع عملهم فى الدواوين ، وما لبث ان عادت الامور الى نصابها بعد المتوكل.[٤]

---

[٣] المسعودى (على بن الحسين) ت ٣٤٦هـ مروج الذهب ومعادن الجوهر – بيروت – جـ١تحقيق / محمد محى الدين عبدالحميد – ١٩٨٧م ص٣٤٣ .

[٤] الطبرى (محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) – تاريخ الام والملوك – دار المعارف – ط ٤ – ج ٩ – ص ١٧١ ومابعدها , وقد سبق هارون الرشيد المتوكل فى موضوع الزى الذى يرتديه اليهود والنصارى اذ فرض عليهم زيا خاصا بهم بسبب ان سكان حدود الدولة الاسلامية وبعضهم كان من اليهود والنصارى قد عملوا فى التجسس لصالح الامبراطور البيزنطى نقفور . انظر : جاك تاجر – أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى الى ١٩٢٢م – الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة – ٢٠١٥ م – ص ١٢٢ .

ويمكننا ان نقسم حالة اليهود والنصارى فى الدولتين الأُموية والعباسية الى جوانب عدة (الجانب العقائدى الدينى– الجانب المالى والتجارى– الجانب المهنى والحرفى)

أولاً : الجانب العقائدى (الدينى) :-

يذكر البعض ان الثوابت التاريخية عن اليهود (وهو ماينطبق تماماًعلى النصارى) الذين عاشوا وعاصروا القرون الثلاثة الاسلامية الأولى (أموية وعباسية) من أن جماعات قد سكنت البلدان الاسلامية ، واطمانت فيها بسبب المعاملات القانونية والسياسية – وربما الاجتماعية والمالية – الحسنة التى وجدوها فى تلك البلدان بالاضافة الى موقع تلك البلدان الذى ازدادت فيه فرص مُتسعة للكسب والثراء الأمن بالمقارنة مع البيئات الطاردة الغير مستقرة فى أوروبا من ناحية أخرى (٥) ، ولاسيما ان النظام الاسلامى قد أتاح لأهل الذمة إمكانات ضخمة اقتصادية ، وتنوع حضارى بأجناس وثقافات شتى ، مع تقبل المسلمين لاهل الاديان الاخرى بتفاعل بين الجانبين ، فمارس الجميع حياته بحرية دينية واقتصادية وفكرية كذلك (٦).

- كما سيتضح لنا من خلال الدراسة .

ويبدو أن هذا الاختلاط ، وتلك الحرية قد أتاحت الفرصة للجميع فى التعاون الفكرى والحضارى ، واكمال بعضهم البعض الاخر فأنتجت فى النهاية فكرا وحضارة إسلامية اشعت بنورها فى جميع انحاء المعمورة .

---

(6) Mark R . Cohen.Jewish self Government in Mediecal Egypt , (Princeton University Press, 1980) P.S

(7) Ashtor,E " Prolegomena to the Medieveral History of Riental Jewry " in Ashtor (ed) the Jewesand Mediterramen . Economy, (London , 1983) .PP5

وبين أيدينا وثيقة عبارة عن بردية نادرة محفوظة فى المكتبة الوطنية بالنمسا مجموعة الارشيدوق راينر (بردية أهناسيا)[٧] وهى إيصال من أحد عمال عمرو بن العاص (عبد الله بن جابر) أعطاه لمصريين قبط عندما فتح إقليم أهناسيا بصعيد مصر ، ولم يتعامل معهم كفاتح ومستعمر بالبطش واستخدام العنف وإنما اعطاهم إيصالاً لما أخذوا حتى يستفيدوا بالمقابل ونص الإيصال، ونص البردية : "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ..... هذا ما اخذه عبد الله بن جابر واصحابه من الجند من أهنس أخذنا من خليفة ثدرق ابن أبوقير الأصغر ومن حليفه اصطفى ابن أبو قير الأكبر خمسين شاة من الجزر وخمسة عشر شاة أخرى اجزرها أصحاب سفنه وكتائبه....." .

وهنا تتجلى معانى التعامل الإنسانى السوى ، واحترام الآخر وحقوقه .

وفقد ساعد تعدد الفرق المذهبية الاسلامية التى نشات وترعرعت فى ظل خلاف سياسى أدى إلى خلاف عقائدى فى بعض امور الدين والدنيا الى إثراء الحوار الفكرى والثقافى،الأمر الذى ساعد فى النهاية على تطور وظهور بعض الفرق المذهبية عند اليهود والنصارى اقتداءاً بالمذاهب والفرق الاسلامية فضلا عن أن الأمر قد أخذ صور التأثير والتأثر من أصحاب الديانات الثلاث التى عاشت متجاورة متعاونة تتفق احيانا وتختلف أحيانا أخرى[٨]

---

(٨) تحمل البردية رقم سجل Perf, Arab No.558 مؤرخة فى جمادى الاولى سنة ٢٢هـ / ٦٤٣م .

[٨] حسن ظاظا – الفكر الدينى الاسرائيلى – اطواره ومذاهبه – معهد البحوث والدراسات العربية – ١٩٧١ – القاهرة – ص ٢٩٥ وعبد الرازق قنديل – اثر الشعر العربى ==

هذا بالمشرق فى العصرين الأموى والعباسى ، أما فى المغرب العربى فقد اختلف الأمر بعض الشئ – وان كانت السمة الغالبة هى تشابه الأحوال بينهما ، فقد تواجد نصارى الروم قبيل الفتح الاسلامى – منهم من أسلم ومنهم من ظل على نصرانيته– ورحل البعض منهم وبقى آخرون فى المدن المغربية ، إلا أن استقرارهم كان على الساحل لم يتجاوزوه الى الداخل بوصفهم الطبقة الحاكمة فى السابق. فلم يكن لهم ثمة اختلاط بالمجتمع المغربى (أهل البلاد) حيث عمدوا الى اختيار المناطق ذات المناخ الأنسب ، والثراء الاقتصادى مبتعدين عن الصحارى بمناخها القاسى ، وقلة مصادرها الاقتصادية ، وشظف العيش فيها .

وفى الدولتين الأموية والعباسية نقصت أعداد النصارى بشكل ملحوظ فى أجزاء المغرب العربى :– الأدنى والأوسط والأقصى – ومن تبقى منهم لم يعد له ذكر يمكن أن يُعول عليه ولاسيما أن كثيرين منهم قد أسلموا ، وغادر البعض منهم بعيداً عن المنطقة بعكس حالة اليهود الذين لم يكونوا فى يوم من الأيام أصحاب سلطة أو جاه.

وقد قاسوا من الروم النصارى ألوان الاضطهاد كثيراً فربما نقموا عليهم، وكان دخول الاسلام إلى بلاد المغرب فضل كبير عليهم [٩]

==

فى الشعر العبرى الاندلسى – مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة – ٢٠٠٢ م – ص ٢١ ومابعدها .

[٩] ابن عبد الحكم – فتوح مصر والمغرب – تحقيق د/ عبد المنعم عامر – القاهرة – ١٩٦١– ص ٢٧١ – ود / عبد الرحمن بشير – اليهود فى المغرب العربى –

==

فقد استظلوا بسماحة الإسلام التى سمحت تعاليمه بممارسة شعائرهم الدينية ، وممارسة أنشطتهم التجارية ، وأعمالهم الحرفية بحرية تامة دون قيود عليهم ، ولم تفرض عليهم سوى ضريبة الرأس التى كانت تطلق عليها : الجوالى وهى الخاصة باليهود دون النصارى الذين فرض عليهم الجزية فى المغرب العربى [١٠]

وينقل لنا أكاديمى غربى وهو : جاك تاجر معلومة طريفة يرويها الأسقف ساويرس بن المقفع : أنه لما هبط مستوى النيل سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٢م قام المسلمون بصلاتهم لزيادة منسوبه ، ثم تبعتهم اليهود بصلاتهم ولكن دون جدوى ، ولم تحدث المعجزة إلا عندما بدأ النصارى فى الصلاة فقرر نائب الوالى على مصر أن يكافئهم فخفض الجزية وأمنهم على حياتهم وأملاكهم فى القطر المصرى . [١١] .

وأنا لا أشكك فى وقوع الحدث ، بل وأميل إليه وهو يعطى صورة ترك القيادة الاسلامية لليهود والنصارى فى حرية العبادة ، والمعاملة بالمثل مع المسلمين ، وصورة رائعة من التعايش السلمى بين الجميع .

لكن النتائج فى الرواية هى ما أضحدها بقوة لأن المسلمين يُصلون لهطول الأمطار (الغيث) ، وماء النيل يحتاج الى شهور وأيام لوصول

==

٢٢-٤٦٢هـ / ٦٤٢ – ١٠٧٠ م – منشورات عين للدراسات والبحوث ٢٠٠١ م – ط١- القاهرة – ص ٣٢

[١٠] د/ عبد الرحمن بشير – اليهود فى المغرب العربى – ص ٣٣ .

[١١] جاك تاجر – اقباط ومسلمون – ص ٨٥

مياهه من مصدره بالحبشة ، وليس دقائق أو سويعات قليلة عقب صلاة الاستسقاء .!

أما تعامل المسلمين مع الروم النصارى فقد اختلف فى الدولة الأموية . عنه فى الدولة العباسية . فبينما كان هناك ود وألفة بين معاوية بن أبى سفيان وبين قلفط بن مورق- ملك الروم – واستمرت المراسلات والمهادنات بينهما حتى وفاة الأخير ، وكان الرسول بينهما هو فناق أو بناق الرومى وهو غلام كان لمعاوية بن أبى سفيان حتى أن المسعودى يذكر: أن ملك الروم قد أرسل بشارة لمعاوية بن أبى سفيان بأن عثمان سيقتل وأن معاوية سيلى الملك ، عرف ذلك عن طريق علم الملاحم الذى توارثه ملوك الروم . [١٢] وهى روايات لانسلم بها لأن الغيب علمه عند ربه .

أما فى العصر العباسى فقد كان لخلفائه مواقع وغزوات ضد الروم ولاسيما زمن هارون الرشيد [١٣] غير أن الروم قد زحفوا على بلاد الشام فى مطلع القرن الرابع ، ووصلوا إلى ديار بكر وموقع نصيبين ، ثم طلبوا فى سنة ٣٣١هـ من أهل الرها تسليمهم المنديل الذى مسح فيه المسيح عليه السلام وجهه ، وظهرت صورته عليه فى مقابل إطلاق سراح عدد من الأسرى المسلمين لدى الروم ، وأرسلوا الى الخليفة العباسى (المتقى

---

[١٢] المسعودى – مروج الذهب ج١– ص ٣٢٩ ..

[١٣] المسعودى – مروج الذهب – ج ١– ص ٣٣٠ .

) فاستشار علماء الدين ووجوه القوم ، وانتهوا الى الموافقة على المبادلة ، وتمت بالفعل فى جو امتلأ بالاحتفالات والتعظيم [١٤] .

وفى الأندلس حافظ المسلمون الفاتحون على حرية العقيدة لليهود والنصارى فنعموا بالتسامح والعيش الكريم فى ظل سماحة الاسلام وأهله ، وربما يكون الاجدى هنا أن نأتى بشهادة غربية من عالم متخصص فى التاريخ الأوروبى وهو المستشرق الفرنسى/ ليفى بروفنسال له تاريخ حافل فى التعامل مع المخطوطات فى أسبانيا وتونس والجزائر والمغرب ومصر والمعاهد العلمية الراقية .

حيث يذكر أن[١٥] : المسلمين بعد دخولهم شبه الجزيرة الأيبيرية حافظوا على الدين الرسمى القديم لدولة القوط (النصرانية) ، حتى بعد دخول الكثيرين من الأسبان فى الدين الاسلامى فان جانباً لابأس به من الرعايا النصارى قد ظلوا يشكلون فى المدن الاندلسية جاليات مزدهرة ، لها كنائسها وأديرتها ، ورئيسها المسئول عنها ، وعن ضرائبها وقاضيها الذى يطبق فى أحكامه القانون القوطى القديم تحت إشراف الدولة الأموية ويخضع لرقابتها .

ولننظر بتفحص مايضيفه بروفنسال فى دفاعه عن المسلمين فى الأندلس كما يلى:-" أما الملاحقات النادرة التى عانت منها تلك الجاليات (النصرانية) فمردها دائما نصارى متهوسون يرفضون أن يتراجعوا فى

---

[١٤] ادم ميتز – الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى – ترجمة / محمد عبد الهادى ريدة – دار الفكر العربى – ١٩٩٩م – القاهرة – ص ١٩

[١٥] انظر : ليفى بروفنسال – الحضارة العربية فى اسبانيا – ترجمة د / الطاهر احمد المكى – دار العالم العربى – القاهرة – ط١ – ٢٠١٠ م – ص ١١٠ .

تهجمهم على دين أصحاب الدولة ، والحق أن أبناء جلدتهم من القسس أو العلمانيين كانوا ينكرون هذه التهجمات علنا".

وفى مجال حرية اختيار قادة النصارى ورجال الدين يذكر :- كان الأمير أو الخليفة يقر دائما ما تنتهى إليه الانتخابات التى تجرى لاختيار كبار رجال الدين خاصة مطران طليطلة وأسقف قرطبة ، ويستخدم هؤلاء الأحبار فى السفارات والمهمات السياسية السرية ويسوق المؤرخ بروفنسال وصفا لإقبال نصارى الاندلس على الثقافة العربية الاسلامية وشغفهم بها مع إيراد شهادات عديدة ممن عاصروا تلك الحقبة.(١٦)

وفى أنطاكية : كان رجال الشرطة المسلمون يتدخلون كثيرا بين الفرق النصرانية لمنعهم من المشاجرات فيما بينهم ، حتى اضطر حاكم انطاكية المسلم فى القرن الثالث الهجرى من تعيين رجل من النصارى يتقاضى ثلاثين دينارا شهريا وكانت مهمته تنحصر فى العمل على منع المتخاصمين من النصارى من الشجار فيما بينهم ومن قتل بعضهم بعضا (١٧) .

أما الأحداث الغريبة التى تصدر من بعض القيادات الاسلامية فلم تكن هى أصل التعامل ، ولا أصل تعاليم الاسلام وانما هى لاشك أحداث فردية تتعلق بالحاكم أو من ينوب عنه عندما يبالغ فى العقاب أو ينفعل او حتى يصاب بلوثة عقلية ، وسنذكر هنا بعض الأمثلة على تجاوزات الأفراد فى تعاملهم مع اليهود والنصارى خارج أُطر الشرع الاسلامى الحنيف :-

---

(١٦) بروفنسال – الحضارة العربية – ص ١١٠ ، ١١١ .

(١٧) أدم ميتز – الحضارة الاسلامية – ج١- ص ٦٥ .

من ذلك ماحدث من أمير الموحدين ببلاد المغرب (عبد المؤمن) عندما خيَّر اليهود والنصارى الذين يعيشون فى سلطته بين اعتناق الاسلام أو النفى الى خارج بلاده الأمر الذى أدى الى هجرة العديد منهم إلى مصر وإلى الشام ، مثلما حدث مع أحدهم وهو (يوسف بن يحيى بن إسحاق الفاسى اليهودى) الذى فرَّ إلى مصر ، ثم الى حلب ، فالعراق التى تعاطى فيها التجارة ، ومنها الى الهند متاجرا ثم عاد وقد زادت خبرته بالطب إلى أن مات على يهوديته سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٢٦م . [١٨]

ونسوق هنا مثل صارخ يدل على خبل فردى لاعلاقة له إطلاقا بالشريعة التى يعتنقها أو الإسلام الذى يمثله بل بشخصه ، وما قاساه الناس منه مسلمين ونصارى أو يهود على اختلاف مشاربهم ومعتقداتهم .

وهذا المثل هو الحاكم بأمر الله [١٩] الذى حفل تاريخه بمظالم ومآسى عديدة لكل الطوائف الإسلامية منها والنصرانية واليهودية على حد سواء نذكر منها مايخص اليهود والنصارى :- ففى سنة ٤٠٣ هـ أمر الحاكم أن

---

[١٨] د / امام الشافعى محمد – موقف اليهود من الصراع الاسرائيلى المغولى – ص ٣٣ – دار الكتاب الحديث – ٢٠١١ م – القاهرة – ص ٢٣ .

[١٩] هو أبو على المنصور بن العزيز ابن المعز بن المنصور ابن القائم ابن المهدى تولى الحكم فى عهد أبيه , وكان جوادا سفاكا للدماء , قتل الكثيرين من رجال دولته وكانت سيرته كلها عجب يخترع الأحكام والأوامر التى لم يعتاد الناس عليها وكان ميلاده سنة ٣٧٥ هـ , وقتل سنة ٤١١هـ

انظر : ابن خلكان (احمد بن محمد بن أبى بكر)- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان – دار الفكر – م ٥ – القاهرة – ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م – ص ٢٩٢ ومابعدها

يلتزم اليهود والنصارى بلبس العمائم السود واستثنى منهم الجبابرة [٢٠] (ربما يقصد قادتهم الدينيين) ، ومنعوا أيضاً من تشغيل المسلمين عندهم ، كما تم منعهم من الركوب مع المكَّاريه (الذى يحملون الناس على دوابهم) واذا دخل النصرانى الحمام فلابد أن يكون الصليب فى عنقه .

وأن يكون الجلجل (ربما يقصد الجرس)[٢١] – فى عنق اليهودى إذا أراد دخول الحمام

وبعدها أمر بإفراد وتخصيص حمامات للنصارى ، وحمامات لليهود، ويُذكر فى ذلك أن جماعة من النصارى قد أعلنوا إسلامهم فى سياق هذه الأوامر وربما بسببها [٢٢].

ويذكر النويرى[٢٣] انه فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٠٣ هـ شدد الحاكم على النصارى واليهود فى حمل الصلبان وأن يكون الصليب فى طول ذراع، وزنته خمسة أرطال ، فلما أضرَّ ذلك بهم دخلوا فى دين الإسلام .

---

[٢٠] عند ابن خلكان المصدر السابق – م٥ – ص ٢٩٣ ذكر : الخيابرة وهذه لم أجد لها معنى فى معجم مجمع اللغة العربية ولكنى ارجح انها الجبابرة , والجبارة هى حرفة المجبر للجروح والكسور وجمعها جبائر . انظر : المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية – طبعة وزارة التربية والتعليم ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م – ص ٩١ مادة : جبر , فقد كان اليهود والنصارى يعملون فى هذه المهنة .

[٢١] والجُلْجُل هو الجرس الصغير – وجَلجَل السحاب والرعد – جلجلة : صوت فى حركة ، وجلجل الرجل أى حرّك الجُلْجُل ، والجمع جلاجل انظر : المعجم الوجيز – ص ١١٠– مادة جَلجَل .

[٢٢] ابن خلكان – وفيات الأعيان – م٥ – ص ٢٩٢ وما بعدها .

[٢٣] النويرى (أحمد بن عبد الوهاب) ٦٧٧– ٧٣٣ هـ – نهاية الارب فى فنون الادب – تحقيق د / امين امين واخرون ج ٢٨ – مركز تحقيق التراث – القاهرة – ==

وهذه الرواية بها أمران :-

الأول : أن النصارى يحملون الصلبان وهو أمر خاص بهم، ولكن اليهود لايحملونها فكيف يؤمرون بحملها .....!؟

وثانيهما : ماعلاقة حمل الصلبان وعدمه من دخول اليهود والنصارى فى دين الاسلام ، وظنى أنه تصادف فى تلك الأثناء أن دخل بعض اليهود وبعض النصارى فى الإسلام فاعتبر البعض أنه هروب من مثل هذه الأوامر التعسفية للحاكم بأمر الله، مع أن الدخول فى الاسلام يحدث يوميا بسبب وبدون .

وكان من أغرب الأوامر التى أصدرها الحاكم بأمر الله ، ولا أجد لها تفسيراً كافياً يشفى الصدور عندما أمر فى سنة ٤٠٨ هـ بهدم الكنيسة المعروفة بقمامة (ربما يقصد كنيسة القيامة) وجميع الكنائس بالديار المصرية ، وأهدى (ووهب) جميع مافيها من الآلات وجميع مالها من الأرباع والأحباس لجماعة من المسلمين ، ويضيف ابن خلكان : وتتابع إسلام جماعة من النصارى .[٢٤]

ولا أعتقد أن هناك علاقة بين الحادثتين فإسلام النصارى مستمر دائم طوال العصور الاسلامية المتعاقبة ، وفى جميع أنحاء المعمورة .

==

١٤١٣هـ /ى ١٩٩٢ م – ص ١٩١ . وانظر ابن خلكان ٠ وفيات الاعيان – م ٥ – ص ٢٩٣

[٢٤] ابن خلكان – وفيات الاعيان – م٥ – ص ٢٩٤ .

وينقل لنا النويرى رواية أخرى عن الحدث نفسه [٢٥]بها بعض الاختلاف لكن المضمون واحد اذ يذكر : أنه فى العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث واربعمائة (بينما ذكر ابن خلكان أن الحدث فى سنة ٤٠٨ هـ وهو ما اثبته وارجحه نظرا لتقدم ابن خلكان عليه) ، أمر الحاكم بهدم جميع الكنائس بالديار المصرية فسأل جماعة من النصارى أن يتولوا هدم كنائسهم بأيديهم وأن يبنوها مساجد ، فوهب الحاكم جميع الكنائس بجميع ما فيها من أوانى الذهب والفضة وغيرها من الحواصل والمآكل ومالها من رباع وأملاك لجماعة من الصقالبة والفراشين والسعدية ، ولم يرد من سأله شيئاً منها ، وكوتب كل متصرف فى عمل من الأعمال بهدم مافى عمله من الكنائس ، فهدمت من جميع أعمال الديار المصرية .

وتجدر الإشارة استكمالا لما سبق عرضه – أن الحاكم بأمر الله قد عاد الى رشده فى أخريات أيامه ، وتحديدا فى شعبان سنة ٤١١هـ، وعاد إلى النصرانية جماعة ممن كانوا قد أعلنوا إسلامهم من النصارى [٢٦]

وفى الشهر نفسه أمر الحاكم بإعادة بناء ماتم هدمه من الكنائس ، ورد ماكان قد أخد من أحباسها . [٢٧]

---

[٢٥] النويرى – نهاية الارب – ج ٢٨ – ص ١٩١و ١٩٢ .

[٢٦] يذكر النويرى – نهاغية الارب – ج٢٨ – ص ٢٠٠و ٢٠١ أن الجاكم كان قد أمر النصارى واليهود بان يتظاهروا فقط بانهم مسلمون فأسلم البعض منهم – وهرب الآخرون الى بلاد الروم – فلما عاد الى رشده سمح لهم بالرجوع الى دينهم فارتد البعض وبقى الآخر

[٢٧] ابن خلكان – وفيات الأعيان – م٥ – ص ٢٩٤

ولذلك نستطيع القول أن هذا النموذج الفردى البشرى كان فى تقلب مستمر إذا أصابته لوثة أو حادثة أثَّرت فى مزاجه المتقلب فانه كان يتخذ قرارات عشوائية هوجاء ، ثم مايلبث أن يعود فيها ، وينطبق هذا الحدث على كل الطوائف فلم يكن الامر قاصرا على اليهود والنصارى بل تعداه الى كل البشر ، وأقرب الأمثلة هنا – وغيرها كثير – أنه أمر بعدم خروج النساء من بيوتهن مطلقا، ومنعهن من الحمامات ، وكل سبل العيش لمدة سبع سنين وسبعة أشهر ، وذلك ابتداءا من شعبان سنة ٤٠٤ هـ وحتى مقتله سنة ٤١١ هـ .

كما أنه أمر الناس فى سنة ٣٩٥ هـ بكتابة سب الصحابة رضوان الله عليهم فى حيطان المساجد والأماكن العامة والشوارع وأرسل إلى عُماله بالديار المصرية بأن يفعلوا الشئ نفسه ، ثم عاد ونهى عن ذلك فى سنة ٣٩٧ هـ ، والغريب أنه أمر بعد ذلك بضرب من يسب الصحابة وتأديبهم والتشهير بهم . [٢٨]

ومما يؤسف له أن مثل هذه التصرفات من قبل بعض الحكام تؤثر سلبيا على مجرى الاحداث ، وربما على التجارة البينية المتبادلة بين المشرق والمغرب وبين الشرق والغرب كذلك ، ولا أدل على ذلك من أن العلاقات بين مصر وبيزنطة ولاسيما العلاقات التجارية على وجه الخصوص قد تأثرت سلبا بسبب الضغوط التى ابتدعها الحاكم بأمر الله الفاطمى على أهل الذمة (يهود أو نصارى) فى مصر والشام .

---

[٢٨] ابن خلكان – وفيات الاعيان – م ٥ – ص ٢٩٣ و ٢٩٤ و: النويرى – نهاية الارب – ج ٢٨ – ص٢٠٠ ، ٢٠١ .

وربما كان ذلك سبباً حمل الامبراطور البيزنطى على إصدار أوامره بمنع الروم من السفر الى مصر سنة ٤٠٦ هـ ، كما حرم المتاجرة معها (فانقطعت سبل التجارة فترة من الوقت بين الجانبين . [٢٩]

وعلى كلٍ فما أن فارق الحاكم دنياه وتولى الخليفة الظاهر بعده حتى عادت الأمور الى نصابها ، فعمد النصارى الى الاحتفال الطبيعى بأعيادهم والخروج الى كنائسهم، ويحضر الخليفة الفاطمى اجتماعاتهم مع رعاية ممتلكاتهم وحفظ مقدساتهم . [٣٠]

واذا عدنا الى التعامل الطبيعى بين اليهود والنصارى من جهة وبين المسلمين فى دولتهم الاسلامية زمن الأمويين والعباسيين نرى أن أهل الذمة قد وجدوا الأمان والحرية والاستقرار فى عقيدتهم وأعيادهم ، ولا أدل على ذلك من أن يكون رئيس النصارى ببغداد هو نفسه طبيب الخليفة العباسى ، بينما كان رؤساء اليهود جهابذتهم عنده [٣١] .

---

[٢٩] د / محمد جمال الدين سرور – تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق من عهد نفوذ الاتراك الى منتصف القرن الخامس الهجرى– دار الفكر العربى – ١٩٦٥ م القاهرة – ص ١٥٨

[٣٠] آدم ميتز – الحضارة الاسلامية – ج١ – ص ٨٤

[٣١] الجهبذ هو : النقاد , والخبير بغوامض الأمور وجمعها : جهابذة انظر : المعجم الوجيز ص ١٢٢– مادة الجهباذ والجهبذ (وكان للجهبذة ديوان فى بغداد يختص رئيسه باعداد حساب الوارد والمنصرف فى نهاية كل شهر ويقدم لبيت المال – الخوارزمى (محمد بن احمد بن يوسف الكاتب) – مفاتيح العلوم – القاهرة – ١٩٣٠ م – ص ٣٦ و٣٧ .

والجهبذ هو لفظ يطلق على التاجر ثم صار إطلاقه على صاحب بيت المال أو المصرف ، وكانت من الخدمات التى تقدم من الجهبذ لعملائه : حفظ أموالهم [٣٢]

واذا دققنا النظر فى أحكام وفقه الفقهاء الأربعة الكبار لوجدنا أن حياة الذمى (اليهودى والنصرانى) تكافئ عند أبى حنيفة النعمان وابن حنبل حياة المسلم ، وديته دية المسلم . [٣٣] ، وفى الأمر تفاصيل أخرى نضرب الصفح عنها .

ولم تكن الحكومات الإسلامية تتدخل فى الشعائر الدينية لأهل الذمة بل كان يبلغ من بعض الخلفاء أن يحضر مواكبهم وأعيادهم ، ويأمر بصيانتهم [٣٤].

وقد تعمدتُ نقل المعلومتين السابقتين من كتاب آدم ميتز أستاذ اللغات الشرقية بجامعة بازل بسويسرا (توفى ١٩١٧ م) ليكون الحق ماشهد به الآخرون .

حيث أنه يورد لنا أدلة عديدة تؤكد التسامح والتعايش الذى لاقاه اليهود والنصارى فى بوتقة الحضارة الاسلامية ومواطنها ، مع مقارنات لما كان عليه الحال عند الدول والأمم النصرانية نفسها

---

[٣٢] د محمد جمال الدين سرور – تاريخ الحضارةالاسلامية – ص ١٧٩ .

[٣٣] أدم ميتز – الحضارة الاسلامية – ص ٦٣

[٣٤] ادم ميتز – الحضارة الاسلامية – ج١ – ص ٦٤

من ذلك :

" ..... وكذلك ازدهرت الأديرة فى هدوء فمن ذلك الدير المسمى ديرقنى ... على مسافة ستة عشر فرسخا من بغداد منحدرا فى الجانب الشرقى ، بينه وبين دجلة ميل ونصف وهو دير حسن نزه عامر ، وفيه مائة قلاية لرهبانه والمتبتلين فيه ، لكل راهب قلاية ، وحول كل قلاية بستان فيه من جميع الثمار والنخل والزيتون ، وتباع غلته ... وعليه سور عظيم يحيط به وفى وسطه نهر جار ، وعيده الذى تجتمع الناس إليه عيد الصليب " (٣٥)

ويشير كذلك آدم ميتز الى حياة اليهود والنصارى فى مصر وتمتعهم بالحرية العقائدية ، وما هم فيه من رغد العيش ، ثم يقارن ماكانت عليه الدولة الرومانية الشرقية فى المقابل :-

فيذكر : " وكان أكبر الأديرة بمصر الدير المعروف بدير انطانيوس ، وبينه وبين النيل ثلاثة ايام فى البرية ، وهو يقع شرقى أطفيح من قبلى مصر ، وهو على جبل عالى ، وله بمصر وقوفات وأملاك عدة ، وعليه حصن دائر ، وداخل الحصن بستان كبير وفيه نخيل مثمر ، وأشجار تفاح وكمثرى ورمان وغير ذلك وأرضه مزروعة بالبقول ، وله ثلاث عيون ماء تجرى دائما ويسقى منها البستان ..... " ثم يستتبع ميتز ذلك بحال أهل الذمة فى الدولة الرومانية فيقول : " على أن الكنيسة الرسمية فى الدولة الرومانية قد ذهبت فى معاداتها للمسيحيين الذى يخالفون رجالها فى التفكير أبعد مما ذهب إليه الاسلام بالنسبة لأهل الذمة ، ويذكر ميتز

(٣٥) آدم ميتز – الحضارة الاسلامية – ج١ – ص ٦٤

الأمثلة على ذلك ثم ينقل ماقاله مؤرخو اليعقوبيين ووصفهم للبطارقة الذين عينتهم الدولة فى أنطاكية بأنهم أضل من فرعون وأشد كفراً بالله من بختنصر" .

ثم يشير إلى أن اليعاقبة لم يجدوا مع الرومان السكينة التى كانوا يرجونها [٣٦]

وربما يطيب للباحث أن يذكر احدى طاقات النور التى يرويها مشاهدة رأى العين –الرحالة المغربى ابن جبير فى الجانب العقائدى والتعامل بين النصارى واليهود وبين المسلمين .

فيذكر [٣٧] : -

ومن العجب أن النصارى المجاورين لجبل لبنان إذا رأوا به أحد المنقطعين من المسلمين للعبادة جلبوا لهم القوت ، وأحسنوا إليهم ، ويقولون هؤلاء ممن انقطع إلى الله عز وجل فتجب مشاركتهم، وهذا الجبل من أخصب بلاد الدنيا حيث يمتلئ بأنواع الفواكه وفيه المياه المستمرة المتدفقة ، والظلال الوارفة وقل ما يخلو من التبتيل والزهادة ، ويتعجب ابن جبير فيقول : وإذا كانت معاملة النصارى لضد ملتهم هذه المعاملة فما ظنك بالمسلمين بعضهم مع بعض ....! .

ومن المعاملات العقائدية التى يعجب لها المرء كذلك فى التعامل مابين النصارى والمسلمين وقت الحروب الصليبية الدائرة رحاها فى مشاهدات

---

[٣٦] آدم ميتز – الحضارة – جـ١ – ص ٦٤، ٦٥

[٣٧] ابن جبير (محمد بن احمد الكنانى الأندلسى) – رحلة ابن جبير – الهيئة العامة لقصور الثقافة – ط٢ – ١٩٩٨م – القاهرة – ص ٢٣٩ .

ابن جبير عندما دخل مدينة وحصن عكا المحاصرة من قبل صلاح الدين ، وجد فيها مسجداً وضع فيه الصليبيون محراباً فى جهته الشرقية ، والمحراب الأصلى للمسجد على حاله ، فالمسلم وغير المسلم يجتمعان فيه ويستقبل هذا مصلاه ، وهذا الآخر مصلاه ، على الرغم من أنه فى ذلك الوقت كان بيد النصارى وظل معظما ، ومحافظا عليه على هذا الحال).[٣٨]

[٣٨] ابن جبير – رحلة ابن جبير – ص ٢٥٢ .

ثانيا : الجانب المالى والتجارى لليهود والنصارى

١- الجانب المالى

عمدت التعاليم الاسلامية الى وضع أسس للتعامل البشرى الانسانى بين طوائف المجتمع على اختلافها العقائدى ، واختلافها الجنسى ، وكذلك الطبقى من ذلك " تعامل المسلمين مع إخوانهم اليهود والنصارى – فقد حرص المسلمون على دعوة غيرهم بالحسنى إلى دين الإسلام فمن أسلم فعليه ماعلى المسلمين من التزامات كالزكاة بأنواعها والجهاد ونحوه ، أما من آثر البقاء على دينه اليهودى أو النصرانى فقد فرضت عليه الجزية وهى :-

" مبلغ محدد من المال يدفعه أهل الذمة كما يدفع المسلمون الزكاة حتى يتعادل الفريقان فى تحمل المسئولية ، وحتى ينال الفريقان حقوقا متساوية او متقاربة ، وتؤدى الجزية فى أوقات محددة على الرؤوس وتسقط بالاسلام ، وتحدد على قدر طاقة الانسان فقسموا الى ثلاث طبقات:-

الأولى : وهم الطبقة الدنيا يدفعون اثنى عشر درهماً فى السنة – بينما أهل الطبقة الوسطى فيهم اربعة وعشرين درهما – اما الطبقة العليا فيدفعون ثمانية وأربعين ، أما إن كانت بلاد تستعمل فيها العملة الذهبية فقد كانت تقدر بدينار ثم دينارين ثم أربعة على التوالى ولاتؤخذ الجزية من النساء ، ولا من الأطفال ممن لم يبلغوا الحلم ، ولا من كبار السن ولا ذوى العاهات ولا الفقير المعدم ولا من رهبان الأديرة ، وتؤخذ على أقساط

لتسهيل دفعها ،وأحيانا على الشهور ثم استقر أن تدفع مرة واحدة كل سنة[٣٩]

ومن موارد الدولة التى كانت تفرض على اليهود والنصارى : الضرائب على التجارة حيث كان عليهم دفع ضريبة تقدر ب $\frac{1}{20}$ من قيمة بضائعهم تجبى مرة واحدة كل عام إن كان التاجر اليهودى أو النصرانى مقيما بالبلدان الاسلامية ، وشرط دفع هذه النسبة أن تكون التجارة قد تجاوزت قيمتها مائتى درهم .

أما الضرائب المفروضة على تجار اليهود والنصارى من خارج الأقطار الإسلامية فعندما يفدون إليها ببضائعهم فإنهم يدفعون عُشر قيمتها إن زادت أثمانها على مائتى درهم كشرط لتحصيل الضريبة على بضائعهم .

أيضاً: كانت هناك ضرائب أخرى تفرض على الدور والحوانيت والأسواق وكانت تسمى مستغلات ، وعائداتها لم تكن قليلة فقد تجاوزت فى سنة ٣٠٠هـ مبلغا يقدر ب ١٣.٠٠٠ دينار فى السنة [٤٠] .

---

[٣٩] آدم ميتز – الحضارة الاسلامية – ط١ – ص ٧٠و ٧١

و: د / محمد جمال الدين سرور – تاريخ الحضارة – ص ١٠٨ و ١٠٩ .

[٤٠] د / محمد جمال سرور – تاريخ الحضارة ص ١١٩ .

٢- الجانب التجارى عند اليهود والنصارى

انتعشت التجارة بين الشرق والغرب على الرغم من استمرار الصدام بينهما فى جبهات عدة ، وعلى فترات متقاربة ، ويبدو أن هذا السبب قد جعل هناك وسطاء يساعدون على إيصال التجارة واستمرارها بين الجانبين فى العصرين الاموى والعباسى .

ساعد على ذلك إنشاء الطرق البحرية والبرية لخطوط مواصلات ربطت بين الشرق الاسلامى ، والغرب النصرانى ، ومن أشهر طرق التجارة البحرية فى تلك الفترة : الطريق البحرى من غرب أوروبا الى المشرق الاسلامى مارا بمصر هذا الطريق الذى استغله التجار اليهود الذين كانوا يأتون من مقاطعة بروفانس بفرنسا ، ويطلق عليهم المسلمون فى ذلك الوقت (تجار البحر) ، وهؤلاء كانوا يجيدون العربية والفارسية والفرنسية والصقلبية ، ويجلبون من الانتاج الغربى : الديباج والفراء والسيوف ، يبدأ هؤلاء التجار رحلاتهم من مقاطعة بروفانس الفرنسية حتى ترسو سفنهم عند الفرما (بورسعيد) ، ثم يحملون تجارتهم على الدواب حتى ميناء القلزم (السويس) ، ومن القلزم تنقل عبر البحر الأحمر ، ثم المحيط الهندى ليصلوا ببضائعهم الى بلاد السند والهند والصين.

وفى رحلة العودة يحمل التجار اليهود معهم سلع المشرق كالمسك والعود والكافور، وغير ذلك ربما البهارات فاذا وصلوا الى القلزم اتجهوا الى

الفرما أو الى الاسكندرية ، ومنها مباشرة الى بروفانس ، وربما يذهب البعض منهم أحيانا الى القسطنطينية [٤١]

وفى العراق كان الروم والهنود الى جانب أهل العراق نصارى ومسلمين وكذلك اليهود هم أنشط تجار المملكة الاسلامية ، وقد ذُكر بالعراق رجلان من جهابذة اليهود وهما: يوسف بن فنجاس ، وهارون بن عمران اقترض منهما الوزير عشرة آلاف دينار فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، ويبدو أنهما كانا يملكان شركة أو مؤسسة أو مايشبه البنك هناك ، وكان هذان الرجلان اليهوديان مع نصرانى آخر يسمى زكريا بن يوحنا يسمون : جهابذة الحضرة . [٤٢]

وفى مصر أذنت حكومة الدولة الفاطمية للتجار الايطاليين ، وغيرهم من الأوروبيين – يهودا ونصارى – بانشاء الفنادق الخاصة بهم فكثر عددها فى العصر الفاطمى نتيجة للتوسع التجارى حيث كان لكل جالية بالأسكندرية فندق ، وهو عبارة عن بناء يقيم فيه التجار الأوروبيون النصارى شعائرهم الدينية ، وكان بالفندق فى الغالب فرن لصناعة الخبز على حسب عاداتهم ، ومكان خاص بهم لشرب النبيذ ، ولهم شخص يمثلهم فى تنظيم الاقامة بالفندق وأمام السلطات ، ويطلق عليه اسم : الفندقى [٤٣]

---

[٤١] ابن خرداذبة عبد الله بن عبد الله المسالك والممالك – جـ٤ – منشورات دى غوية – ١٨٨٩م – ص ١٥٤ ، وانظر : د/ محمد جمال الدين سرور – تاريخ الحضارة – ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

[٤٢] أدم ميتز – الحضارة الاسلامية – جـ ٢ – ص ٢٥٤ ، ٢٥٥.

[٤٣] د / محمد جمال سرور – تاريخ الحضارة – ص ١٦٠

وفى بلاد الشام نلاحظ تعجباً ملحوظاً فى قلم الرحالة ابن جبير [٤٤] وهو يعيش اللحظة على بعد خطوات من معسكر صلاح الدين الأيوبى الذى خرج بجيشه الى محاصرة الكرك [٤٥] فى جمادى الاولى سنة ٥٨٥ هـ ، وهو من أعظم حصون النصارى الذى يعترض الطريق الى الحجاز ويشرف على أربعمائة قرية ، ويذكر ابن جبير أن نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى (يشير الى عجلة الحروب الصليبية) ، وربما يلتقى الجمعان ..... الخ ، فى الوقت الذى تتحرك فيه القوافل التجارية بين المسلمين والنصارى ذهابا وإيابا دون توقف ودون مراعاة فتنة الحروب وقادتها .

فتتحرك القوافل التجارية من مصر الى دمشق مرورا بكل حصون الافرنج ومن دمشق الى عكا ، ولايعترض المسلمون النصارى ، ولايعترض النصارى المسلمين فى تجارتهم .

ويضيف ابن جبير : وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها فى بلادهم فى أمان تام ، وتجار النصارى أيضا يؤدون فى بلاد المسلمين الضرائب على سلعهم ، ويؤكد ابن جبير على أن الاتفاق بين الطرفين

---

[٤٤] ابن جبير – رحلة ابن جبير – ص ٢٣٩

[٤٥] كرك : كلمة أعجمية اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أبله وبحر القلزم (البحر الاحمر) وبيت المقدس ، وهى على سن جبل عالى تحيط بها أودية انظر : ياقوت الحموى (ياقوت بن عبد الله الرومى) – معجم البلدان – دار صادر بيروت – جـ٤ – ص ٤٥٣ ، ويذكر وليم الصورى ان الكرك كانت معروفة بأرض مونت ريال – الحروب الصليبية ترجمة د / حسن حبشى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٤ م – ص ٢٤١ .

والاعتدال فى جميع الأحوال مستمر حتى انه يقول : (وأهل الحرب مشتغلون بحربهم والناس فى عافية والدنيا لمن غلب ..... ولاتعترض الرعايا و لا التجار فالأمن لايفارقهم فى جميع الأحوال سلما وحربا ، وشأن هذه البلاد فى ذلك أعجب من أن يستوفى) .

ويتصاعد عجب ابن جبير ، وهو خارج من مدينة دمشق ينوى دخول مدينة عكا المحاصرة [٤٦] من قبل صلاح الدين يوم الخميس ١٥ من شهر جمادى الآخرة سنة ٥٨٥ هـ ضمن قافلة كبيرة من التجار المسافرين بالسلع الى عكا ، فيذكر :-

" ومن أعجب مايحدث فى هذه الدنيا ان قوافل المسلمين (التجارية) تخرج الى بلاد الافرنج (أى قلاع وحصون يسيطرون عليها) وسبيهم (أسراهم) يدخل الى بلاد المسلمين ، ويحكى قصة الأسرى هؤلاء وكثرتهم فيذكر : أن حصار صلاح الدين لعكا جعل الصليبيين يتجمعون من كل مكان وقصدوا موضع الماء الذى يعتمد عليه ليقطعوا عليه الطريق ويمنعوا عنه المؤنة والامدادات ولكنه ترك الحصار ببعض قواته ، واتجه الى موضع العين ، فقطع الطريق على القوات الصليبية ، وهاجم نابلس [٤٧]

---

[٤٦] عكة : اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن ، من أحسن بلاد الساحل وأعمرها ، وهى مدينة حصينة كبيرة للجامع ، فيها غابة زيتون ، وقد حصنها احمد بن طولون ، وصنع لها ميناءاً عظيما شارك جد ياقوت الحموى فى صنعه وتجهيزه ، وقد فتحت سنة ١٥ هـ فتحها عمرو بن العاص ومعاوية بن ابى سفيان – ياقوت الحموى – معجم البلدان – م ٤– ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

[٤٧] نابلس مدينة مشهورة من أرض فلسطين بين جبلين ، مستطيلة كثيرة المياة لأنها لصيقة بجبل ، أرضها حجر ، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ ، وبها الجبل ==

فدهمها واستولى على كل مافيها (وهى حصن به عتاد وأسر وجيش الصليبيين فحصل على غنائم وأسرى يعجز المرء عن حصرها وعدها – كما يذكر – يقول : أنه وجد فيها فرقة يهودية تعرف بالسمرة منسوبة الى السامرى ، فأوقع فيها القتل وحصل منها على غنائم كثيرة يضيق الحصر عنها . [٤٨]

ثم اتجه إلى الشرق برجاله للاستراحة بعد النصر المظفر ، ثم يعود بعدها لمحاصرة حصن عكا ، ووصل ابن جبير مع قافلة التجار – فى اتجاهه صوب عكا المحاصرة – إلى مدينة بانياس ويذكر : أنهم وجدوا بطريقهم شجرة بلوط عظيمة الجُرم (كبيرة جداً) متسعة التدريج تعرف بشجرة الميزان ، وكان أمرها عجيباً عندما سأل عنها فقالوا له : إن الشجرة هى حد بين الأمن والخوف .....! فإن قُطاع الطرق يذكرهم ابن جبير : حرامية الافرنج وهم الحواسة والقطاع " من أخذوه من وراء الشجرة ناحية بلاد المسلمين ولو بشبر أو باع أُسر ، ومن أخذوه منها إلى جهة بلاد الإفرنج ولو بشبر أُطلق سبيله ، وبينهم عهد يوفون به ويذكر الرحالة : " وهو من أظراف الارتباط الإفرنجية وأغربها " [٤٩] .

==

الذى تعتقد اليهود ان قصة الذبيح (وعندهم هو اسحاق) كان عليه ، وطائفة السمرة اليهودية تصلى إليه انظر : ياقوت الحموى – معجم البلدان – م ٥ – ص ٢٤٨ .

[٤٨] ابن جبير – رحلة ابن جبير – ص ٢٤٨ ، ٢٤٩

(٤٩) ابن جبير – رحلة بن جبير – ص ٢٤٩

كما يشرح لنا وليم الصوري[٥٠] (مؤرخ الحروب الصليبية) النصراني: الأساس الذى قامت عليه التجارة المباشرة بين أوربا وبلاد الشام ابتداءاً من العصر الأموي ، وكذلك العباسي حتي زمن الحروب الصليبية الذي أرّخ له :-

فيذكر أنه بعد غزوات المسلمين الأول واستيلائهم على بلاد الشام من بينها القدس وغيرها استمر وصول الحجاج الأوربيين لزيارة أماكن مقدساتهم النصرانية للعبادة أو للعمل أو الاثنين معاً ، كان من بين هؤلاء الأمالفيين – نسبة إلى مدينة : أمالفي الإيطالية التى قدموا منها ، وهم أهل تجارة ، وأول من حمل إلى الشرق الإسلامى بضائع لم تكن معروفة لديه بقصد الكسب التجارى فأصبحت لهم امتيازات خاصه بهم منحها إياهم حكام الشام من الخليفة إلى والى مصر ، وأصبح لهم مطلق الحرية فى السفر فى كل أنحاء البلاد ،كتجار ومتعاملين فى كل ما يحملونه من سلع مفيدة ، وهؤلاء التجار كانوا يعرجون إلى مقدساتهم كلما سنحت الفرصة ، دون نزل لهم ، فلما زاد عددهم وثراؤهم تجمع الأمالفيون هؤلاء وسافروا إلى مصر لمقابلة حكامها وألّحوا فى طلب مأوى لهم فوافق على تخصيص مساحة كبيرة بالقسم الذي يقطنه النصاري فى القدس لإقامة مأوى لهم والأغراض التى يريدونها ، فأنشأوا خاناً كبيراً لأهل أمالفي ، كما

(٥٠) وليم الصورى – الحروب الصليبية – ج٣ – ص٣٨٧ ومابعدها – وتجدر الإشارة إلى أن المصادر الإسلامية فى أغلبها لا تشير إلى هذه البدايات سوى حديثها عن بدايات الاسبتارية منذ الحروب الصليبية ولكن وليم الصوري أرّخ لها منذ بداياتها الأولى فى العصر الأموى والعباسى، فشرح تفاصيل تكونها ، لم نذكر هنا سوى مايتعلق بالتجارة وكيفية اتساعها فى إيجاز.

جمعوا التبرعات ، وأقاموا ديراً تمجيداً لأم السيد (المبجلة) العذراء ، وبه أماكن للرهبان ، وأخرى لاستقبال القادمين من مدينتهم : أمالفى وأحضروا من بلادهم رهباناً لأداء شعائرهم فى الدير المواجه لباب كنيسة القيامة ، كما شيدوا بيمارستاناً لإغاثة الحجاج القادمين من الغرب – تمشياً وتأثراً بالبيمار ستانات التى وجدها الغربيون فى بلاد المسلمين – واستخدموه لسكن الحجاج وعلاجهم ،وتقديم الطعام لهم . وداوم التجار الأمالفيون على جمع الأموال من خلال تجارتهم الرابحة مع الشرق الإسلامى للإنفاق على الدير والخانقاه والبيمارستان، ومن خلال دير الأمالفيين هذا نشأت وترعرعت فى الشرق منظمة الاخوان الاسبتارية الذين تحرروا بعد ذلك من تبيعتهم للكنيسة ، وبدأوا فى الاتجاه نحو الاستقلال عنها [٥١] .

(٥١) وليم الصورى – الحروب الصليبية – ج ٣ – ص ٣٨٧ ومابعدها .

ثالثاً : المهن والحرف لليهود والنصارى

يذكر آدم ميتز أنه لم يكن فى التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أى باب من أبواب الأعمال ، وعدّد ميتز حرفهم والمهن التى امتهنوها فذكر

أن قدمهم كان راسخاً فى الصنائع التى تدر الأرباح الوافرة فكانوا:-

صيارفة وأصحاب ضياع وأطباء بل إن اليهود والنصاري قد ثبتوا أنفسهم على الأغلب لهذه المهن ، وكان معظم الصيارفة والجهابزة (أى الخبراء والعلماء) فى الشام يهوداً على حين كان أكثر الأطباء والكتاب من النصارى

بل وكان كبير النصاري ببغداد هو نفسه طبيب الخليفة فى كثير من الأحيان ، لذلك عمل اليهود الأقل شأناً ومكانة وعلماً فى المهنة البسيطة مثل :الخياطة،والصباغة،ومهنة الإسكافى (صناعة وتصليح الأحذية)، والخرّازون (الذين يتعاملون مع الخرز) ، وما أشبهها من مهن صغيرة متداولة فى المجتمع الإسلامى ، وهؤلاء جميعا كانوا أصغر وأقل من يدفعون الضرائب فى المجتمع العباسي ببغداد ، ويذكر أن اليهود بالقدس فى القرن الثانى عشر الميلادى كانوا يحتكرون صناعة الصباغة ، كما أنهم كانوا اثنا عشر يهودياً فى بيت لحم كانوا يعملون كلهم صباغين [٥٢]

---

(٥٢) المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله عمر) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم – طبعة دى غوية – ليدن – ١٩٠٦م – ص ١٨٣، وآدم ميتز – الحضارة الإسلامية ج ١ ص ٦٣ .

ومن أوائل أطباء العصر الأموى النصاري الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي (طبيب العرب) فى زمانه وهو من أهل الطائف أخذ الطب من بلاد فارس (جنديسابور) فى الجاهلية فطبب بها وبالطائف ، وطبب فى العصر النبوي ، والخلفاء الراشدين ، ثم فى الدولة الأموية حيث أخذ عنه معاوية ابن أبي سفيان بعض علمه. (٥٣)

وكذلك : ابن آثال الذي كان من الأطباء المتميزين فى دمشق ، واصطفاه معاوية بن أبي سفيان لنفسه بعد ولايته أمر المسلمين فأحسن إليه ، وكان كثير الانقياد والاعتقاد فيه فقد كان خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة ، خبيراً بالسموم التى مات بها كثير من الناس والأمراء فى عهد معاوية ، وقُتل ابن آثال على يد خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد .

وممن طبب لمعاوية أيضا ولغيره الطبيب النصراني : أبوحكم ، ويقال فى اسمه : عبد الحكيم وهو ممن برعوا فى تركيب الأدوية لمعاوية ، وقد عمَّر طويلاً حتى تخطي المائة عام وكذلك ولده حكم ، ثم ولد حكم (عيسي) ، والأخير عُرف بمسيح ، وكان صاحب الكناش الذي يعرف به ، وينُسب إليه وهو كتابه: كناش منافع الحيوان ،كما كان تياذوق طبيبا نصرانياً مشهوراً فى بداية الدولة الأموية ،وصحب الحجاج بن يوسف

(٥٣) ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء – م ٤ ص ٢٥٩ – ٢٦٠

الثقفي الذي تولى من قبل عبد الملك بن مروان ، ومات تياذوق بواسط العراقية سنة ٩٠هـ [٥٤]

وكان من بين من برعوا فى الطب من النصاري ماسويه الخوزي البغدادى الذي عاش ومارس الصيدلة والطب فى العصرين الأموى والعباسي ، وقد كان سريانياً ، وأمه صقلبية ، وورثه ولده أبو زكريا يحيي بن ماسويه الذي طور العديد من العلوم ، وعمل فى الترجمة حيث أجاد السريانية والفارسية والعربية واليونانية مثل أبيه ، وخدم بعلمه .

وعمله أربعة من الخلفاء، وهم هارون الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق وتولى رئاسة بيت الحكمة سنة ٨٣٠هـ م ، كما أسس أول كلية للطب ، وتنقل بين بغداد وسامراء التى مات بها سنة ٨٥٧م [٥٥]

وممن برع فى الطب، وفى العلوم الدينية النصرانية ، وفى التاريخ من النصاري سعيد بن البطريق الذي ولد بالفسطاط ٨٧٧م ، واختير بطريركاً على الأسكندرية سنة ٩٣٣م [٥٦]

ومن اليهود برع أبوالحجاج يوسف الاسرائيلي الذي كان مغربى الأصل من مدينة فاس فى الطب ، وصاحب عميد الطب ورئيسه بمصر : موسي بن ميمون القرطبي، وبرع كذلك من اليهود عمران الإسرائيلي

---

(٥٤)القفطي (على بن القاضي الأشرف يوسف) – أخبار العلماء – ص ١١٢ ، ١١٣

(٥٥) د/ محمد رضا محمد عوض – الطب وعلماؤه فى عصر الحضارة الإسلامية – مركز الاهرام للنشر – ط١ – القاهرة – ٢٠١٥م – ص٩٣ ومابعدها

(٥٦) د/ محمد رضا – الطب ص ١٠٣ ، ١٠٤.

المولود فى دمشق سنة ٥٦١هـ فى الطب هو وأبيه ، وعاصره ابن أبي أصيبعة فتحدث عنه وعن علمه وعمله ، وذكر أنه توفي بحمص فى جمادى الأولى سنة ٦٣٧هـ (٥٧)

وقد آثرتُ ترك أبناء جبريل بن بختيشوع لكثرتهم إلى الآخر ، وهم سلسلة من الأبناء والأحفاد عملوا فى الدولتين الأمويه والعباسية ، وكان أول من جاءت أخبار عنه هو جورجيس ين جبريل الذي حُمل حَملاً من مدينة جنديا يساور لمقابلة المنصور فى مدينة السلام سنة ٢٤٨هـ وتطبيبه وعندما أدركه مرض فى معدته ، وعاد إلى مدينته سنة ٢٥٢هـ، عندما أدركه مرض الوفاة استخلف عند المنصور تلميذه عيسي بن شهد الذي كان نصرانيا متمكناً فى الطب هو الآخر(٥٨) .

وورث جورجيس ولده بختيشوع الذي برع كأبيه فى الطب ، وخدم هارون الرشيد ، وتميز كثيراً أيامه ، ثم تلاه جبريل ابن بختيشوع بن جورجيس الذي خدم الرشيد ، وجعفر بن يحي بن خالد البرمكى ، وخدم كذلك الأمين بن هارون ، ثم جاء بعده بختيشوع بن جبريل وغيرهم ممن توارثوا الطب أباً عن جد (٥٩) .

---

(٥٧)ابن ابي اصبعة – عيون الأبناء – م ٤ – ص ٢٥٤ وما بعدها

(٥٨) القفطي – أخبار العلماء – ص ١٠٩، ١١٠ و ابن ابي أصيبعة – عيون الانباء – م٢ – ص٧ وما بعدها

(٥٩) ابن أبي أصيبعة – عيون الانباء –٢ –ص١٢ وما بعدها، وانظر: القفطي – أخبار العلماء – ص ٩٣ وما بعدها

ومن المهن التى عمل بها النصاري : الكتابة فكانوا كتاباً للخلفاء والأمراء ، وبعضهم ارتقي إلى منصب الوزارة ، بل إن بعض الكتاب كان يرقي إلى مرتبة الوزير دون تسميته بلقب الوزير والأمثلة على ذلك كثيرة فى الدولة الإسلامية من ذلك أن وزير الخليفة المقتدر وهو أبوالحسن على بن الفرات كان يدعو إلى طعامه كل يوم أربعة من النصاري وهم من جملة الكتاب التسعة الذين اختصهم لنفسه .

وفى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، اتخذ كل من عضد الدولة (ت ٣٧٢هـ / ٩٨٢م) فى بغداد وزيراً نصرانياً ، وكذلك فعل الخليفة العزيز فى القاهرة.

ويذُكر أن المأمون ولى على مدينة بوره بمصر عاملاً نصرانياً، وكان لخمارويه الفاطمى وزيراً نصرانياً كذلك. (٦٠)

ويذكر آدم ميتز(٦١) أن الحاكم بأمر الله الفاطمي قد استوزر منصور بن سعدون النصراني ، وكان فى فترة من فترات حكمه يستخدم أغلب كتابه ، وأصحاب خدمته ، وكذلك أطباءه من النصاري وذلك قبل التنكيل بهم، ثم العفو عنهم على حسب تقلب مزاج الحاكم وولى الوزارة بالقاهرة من ٤٣٦هـ إلى ٤٣٩هـ / ١٠٤٤ إلى ١٠٤٧م

أبو نصر صدقة بن يوسف الفلاحي ، وكان يهودياً فأسلم ، ويدير الدولة معه أبوسعد التسترى اليهودي

---

(٦٠) آدم ميتز – الحضارة الإسلامية –ج١–ص٧٧، ٧٨ .

(٦١) آدم ميتز – الحضارة الإسلامية –ج١ – ص ٨٣ ، ٨٤ .

وقد عمل أيضا بعض النصاري واليهود فى الهندسة وشاركوا فيها مثل رفق الدين يعقوب بن سقلاب الذي كان خبيراً بالعلم الطبيعي ، وأتقن الهندسة ، وعلم الحساب ،وكذلك علم أحكام النجوم ، بالاضافة إلى الطب الذي برع فيه ، وقد تتلمذ عليه ابن أبي أصيبعة الذي نقل عنه العديد من المعلومات عن علماء العصر الأموى والعباسي ، وتوفي ابن سقلاب هذا فى دمشق بعيد الفصح للنصاري سنة ٦٢٥هـ .[٦٢]

كما عمل اليهود كذلك (وهى حالة أظنها نادرة) فى الغناء حتى أننا نجد لامير قرطبة (الحكم الاول) وهو أبو العاص بن الحكم بن هشام الأموى مغنى يهودى يدعى منصور وكان قد أرسله الحكم فى سفارة لاستقبال ومصاحبة المغنى المشهور " زرياب " فى رحلته إلى قرطبة سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢٢م . [٦٣]

وقد عثرت على بردية بالمتحف البريطانى بتاريخ ربيع الآخر سنة ١٣٣ هـ تشير الى تصريح يعد أشبه مايكون بعقد عمل لأحد الشباب من أهل الذمة يدعى أنتونيو بن جيلا من أهالى بلدة دير هرميس للعمل فى العاصمة الإسلامية : الفسطاط وتوصية بأن لايتعرض له أحد إلا بخير .. نصها كالآتى : -

" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كتب من حاذق مولى أبى موسى وشبيب بن ..... عبد الملك بن يزيد على كوورة أسفل الأرض وقرا اسمط ..... انتونيو بن جيلا من اهل دير هرميس من كورة ..... اذنا له بالعمل

---

[٦٢] أبن أبى أصيبعة – عيون الأنباء – م٤ – ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٦٣) ليفى بروفنسال – الحضارة العربية ..... ص ٧٤ . ٧٥

بالفسطاط فى ..... اذناه الى سلخ شهر ربيع الاخر سنة ثلث وثلثين ومائة فمن لقيه من عمال الأمير اصلحه الله فلا يعرض له إلى ذلك ... لأجل إلا بخير ..... " (٦٤)

دور اليهود والنصارى فى حركة الترجمة

بدأت حركة الترجمة فى الدولة الاسلامية مبكراً فى عهد المصطفى ﷺ عندما كلف بعض صحابته بتعلم اللغات الأخرى لترجمة الرسائل التى ترد من أقطار غير عربية ، وأخذت الحركة طريقها فى العصر الأموى دون أن تكون على نسق مرتب أو منظم ، الأمر الذى تطور بعد ذلك فى العصر العباسى ، وازدهر أكثر فى عهد المأمون حتى تقدمت الترجمة واتسعت آفاقها فى أواسط القرن الثالث الهجرى (٩م) .

وكان لأهل الذمة من النصارى واليهود دور كبير فى حركة الترجمة نذكر أكثرهم أهمية : حيث كان من أوائل المترجمين أبو يحيى البطريق (ت ١٨٤ هـ /٨٠٠م) وأبقراط ، ومن المترجمين أيضا : يوحنا بن ماسويه السوريانى (أستاذ حنين بن إسحاق) الذى عنى بالترجمة فى عهد هارون الرشيد الذى أسند إليه أيضا مسئولية حفظ الكتب القديمة وكان أكثرها فى الطب .

ومن أشهر من عمل فى مجال الترجمة ، وهو كذلك من أشهر أطباء عصره : حنين بن إسحاق الذى أطلق عليه شيخ المترجمين (١٩٣ – ٢٦٠ هـ) وهو من نساطرة العرب ، كان من علماء اللغة اليونانية فعمل على ترجمة كل مايصل إليه من كتب ولاسيما بعد أن عهد إليه المأمون

(٦٤) البرقية تحمل رقم سجل : .PS . 105288 Oriental . MS.No 15

بأمر بيت الحكمة [٦٥]، وكان يعمل معه ابنه اسحاق وابن أخته حبيش بن الحسن ، وبلغ من اهتمام المأمون باسحاق وترجماته أنه كان يكافئه على كل كتاب يترجم بمثل وزنه ذهباً. [٦٦]

أعداد اليهود والنصارى فى الدولتين الأُموية و العباسية

تختلف التقديرات التى اطلعتُ عليها فى العديد من المصادر والمراجع، ولكهنا على مايبدو كانت كلها تقريبية يمكن لنا أن نشير اليها فى أن عهد عمر بن الخطاب (وهى فترة زمنية قليلة جدا تسبق العصر الأموى) كان عدد الذين دفعوا الجزية يقارب الخمسمائة ألف انسان ، وآدم ميتز يقرر أن عدد اليهود والنصارى بذلك يصير خمسمائة ألف يهوداً ونصارى [٦٧] ، وهو تقدير خاطئ جداً لأن الجزية لم تكن تحصل من الأطفال قبل سن الرشد ، ولا من النساء ، ولامن العجائز فكان يعفى منها شرائح عدة ، وأظن أن الرقم يجب أن يضاعف أربع مرات لنصل به الى مايزيد عن مليونى ذمى ، إن ذلك يدل على أنه كان بمصر خمسة عشر مليونا من

---

(٦٥) هو أول بيت حكمة عرفه المسلمون أنشاه المنصور العباسى (١٣٥- ١٥٨هـ) وازدهر بصفة خاصة فى عهد المأمون الذى بات معهدا علميا كبيرا .. انظر : د / حسن الباشا – دراسات فى الحضارة الإسلامية – ص٩٥.

(٦٦) القفطى (على بن القاضى الأشرف يوسف) – أخبار العلماء بأخبار الحكماء – مكتبة المتنبى – القاهرة – د.ت – ص ١١٧ ومابعدها .... – ود/ حسن الباشا – دراسات فى الحضارة الإسلامية – دار النهضة العربية – القاهرة – ١٩٩٢م – ص ٨٤ ،٨٥ .

(٦٧) أدم مينز – الحضارة الاسلامية – جـ١ – ص ٦١

النصارى الأقباط [٦٨] ، وهو رقم أعتقد أنه مبالغ فيه جداً ، ولاسيما أنه يتحدث عن القرن الثانى الهجرى من ناحية ، ومن ناحية أخرى فكم كان العدد الإجمالى بما فيهم المسلمون ، ناهيك عن أن عدد سكان مصر فى مطلع القرن العشرين لم يصل قط إلى مايشير إليه .

أما أعداد اليهود فى مصر فقد زادت بعض الشئ فى العاصمة المصرية حيث يقيم بها رئيس اليهود ، وتتركز حولة السلطة الدينية والقضائية العليا لهم . وفى المدن الساحلية كدمياط والاسكندرية تظهر أعداد أخرى ، بينما تقل أعدادهم فى الريف المصرى ، وعلى كل فإن مجموعهم بمصر كلها قد كان فى حدود الواحد بالمائة من نسبة عدد السكان ، وقد كان بمصر فى القرن الثانى عشر مايقرب من ٢٣٣٠ عائلة يهودية ، فربما يصل عددهم إلى اثنى عشر ألفاً ، وهى حسبة تقريبية لاشك . [٦٩]

هذا على الرغم من أن ابن عبد الحكم يسوق لنا رواية تؤكد أن اليهود بالأسكندرية وحدها قد زادت أعدادهم عن أربعين ألفاً لأنه يذكر " ... وأربعين ألفاً عليهم الجزية " معنى ذلك أن مجموعهم قد فاق هذا العدد كثيراً .. [٧٠].

---

(٦٨) ادم مينز – الحضارة الاسلامية – جـ١ – الصفحة نفسها

[٦٩] د قاسم عبده قاسم – اليهود فى مصر من الفتح الاسلامى حتى الغزو العثمانى – ط١ – القاهرة – ٢٠١٥م – ص ٢٩ – ود/ امام الشافعى – موقف اليهود – ص٢٤

[٧٠] ابن عبد (أبو القاسم عبد الرحمن) – فتوح مصر واخبارها – لندن – ١٩٣٠ م – ص ٨٣

ويذكر البعض[٧١] أن عدد اليهود فى سنة ٥٨١ هـ قد بلغ ستمائة ألف فى العراق كلها ، بينما كان فى بغداد وحدها مايقارب الألف يهودى [٧٢] ، وفيها درب يسمى درب اليهود ، وبدمشق ثلاثة آلاف يهودى ، وفى مصر بالقاهرة سبعة آلاف . أما الاسكندرية فقد كان بها ثلاثة آلاف ، وبمدن الدلتا نحو ثلاثة آلاف ، بينما لم يتجاوز العدد بالصعيد المصرى سوى ستمائة شخص منهم ، ويقدر عدد النصارى ببغداد وحدها مابين أربعين إلى خمسين ألفاً من النصارى .

ونظراً لتضارب الأرقام التقريبية، والغوص فيها وفى تفصيلها يحتاج إلى صفحات كثيرة نضرب الصفح عنها لعدم ملائمتها للبحث ..

---

[٧١] محمد جمال الدين سرور – تاريخ الحضارة – ص ١٧٨

[٧٢] بينما يذكر بنيامين التطيلى فى رحلته ان يهود بغداد بلغت أعدادهم أربعين ألفا ، ربما كان يقصد بهذا العدد الكبير العراق كله انظر : بنيامين التطيلى ت ٥٦٩هـ / رحلة بنيامين التطيلى – ترجمة / عزرا حداد – ط ١ – المجمع الثقافى – ابو ظبى – ٢٠٠٢ م – ٢٩٦.

الخاتمة

رصد البحث حياة اليهود والنصارى فى المجتمع الإسلامى طوال فترتى الدولة الأموية ، والدولة العباسية ، وتركزت الدراسة حول التعامل الدينى معهم من قبل السلطات الإسلامية سلباً وإيجاباً ، وخرج البحث بنتائج تاريخية أبرزها : –

١–عمدت شرائع الإسلام إلى إلزام اليهود والنصارى بواجبات بسيطة هينة ، وأعطتهم مساحات واسعة من الحرية فى العبادة وممارسة شتى أنشطة الحياة دون قيود تحد من راحتهم النفسية ماعدا بعض الحوادث التى كان فيها بعض الحكام أو الأمراء يطبقون النصوص الشرعية بالخطأ، أو يتهاونون فى تطبيقها ، وقد ذكرتُ العديد من الأمثلة على ذلك .

٢–أتاحت الحضارة الإسلامية لليهود والنصارى حرية الإبداع والإبتكار، ومشاركة المسلمين فى أغلب الأعمال القيادية والمالية والتجارية فكان منهم الكتاب والوزراء وقادة الدواوين ، واشتركوا فى المهن الراقية كالطب والصيدلة والصرافة ، فكان منهم الجهابذة ، والعلماء ، والفلاسفة ، وأصحاب الصنائع والورش ، وحققوا أموالاً طائلة خاصة ممن عمل منهم فى الطب ، وفى دواوين الدول ومصاحبة الخلفاء والأمراء وقادة الجيوش .

٣–رصد البحث بعض التجاوزات التى حدثت فى حق اليهود والنصارى من قبل بعض الحكام مثل الحاكم بأمر الله – الفاطمى – وما انتهت إليه الأمور فى تلك الحوادث .

٤–عنى البحث بإبراز دور اليهود والنصارى فى حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، ومانالوه من حظوة ومال ومكانة فى المجتمعات الإسلامية .

المصادر والمراجع العربية والمترجمة

أولاً الوثائق

١-بردية أهناسيا من مجموعة الأرشيدوق راينر – المكتبة الوطنية بالنمسا تحت رقم سجل PERF ,Arab NO.558 مؤرخة فى جمادى الأولى سنة ٢٢هـ / ٦٤٣م.

٢-بردية بالمتحف البريطانى بتاريخ ربيع الآخر سنة ١٣٣ هـ تحمل رقم سجل .PS.105288.Oriental.MS,No.15

ثانياً : المصادر والمراجع العربية والمترجمة

ميتز

٣- آدم ميتز – الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى – ترجمة/ محمد عبد الهادي ريدة – دار الفكر العربى - ١٩٩٩م – القاهرة .

النويرى

٤- أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ- نهاية الأرب فى فنون الادب – تحقيق د/ محمد أمين وآخر – مركز تحقيق التراث – ١٩٩٢م – القاهرة .

ابن أبى أصيبعة

٥-أحمد بن القاسم بن خليفة ت ٦٦٨هـ- عيون الأنباء فى طبقات الاطباء – تحقيق د/ عامر النجار – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – د.ت .

ابن خلكان

٦-أحمد بن محمد بى أبى بكر – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – دار الفكر – ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م – القاهرة .

ولفنسون

٧-اسرائيل ولفنسون أبو ذؤيب – تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام – مصر – ١٣٤٥هـ/ ١٩٣٧م .

حمودى

٨-د/ إمـام الشـافعى محمد حمـودي – موقـف اليهـود مـن الصـراع الإسلامى المغولى – دار الكتاب الحديث – القاهرة – ٢٠١١م .

التطيلى

٩-بنيامين التطيلى – رحلة بنيامين التطيلى – ترجمة / عزرا حداد – ط١- المجمع الثقافى – ٢٠٠٢م – أبو ظبى .

تاجر

١٠- جاك تاجر – أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى إلى ١٩٢٢م- الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠١٥م – القاهرة .

الباشا

١١- د/ حسـن الباشـا- دراسـات فـى الحضـارة الإسـلامية – دار النهضة العربية ١٩٩٢م – القاهرة .

ظاظا

١٢- حسن ظاظا- الفكر الدينى الاسرائيلى أطواره ومذاهبه- معهد البحوث والدراسات العربية – ١٩٧١- القاهرة .

قنديل

١٣- عبد الرازق أحمد قنديل – المواريث فى اليهودية والإسلام – مركز الدراسات الشرقية-ج القاهرة – ٢٠٠٨م .

بشير

١٤- د/ عبد الرحمن بشير – اليهود فى المغرب العربى -٢٢-٤٦٢هـ/ ٦٤٢ -١٠٧٠م – منشورات عين – ٢٠٠١م – ط١- القاهرة .

ابن عبد الحكم

١٥-عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ) فتوح مصر والمغرب – تحقيق / عبد المنعم عامر – ١٩٦١ – القاهرة .

ابن خرداذبة

١٦-عيد الله بن عبد الله – المسالك والممالك – منشورات دى غوية – ١٨٨٩م .

المسعودى

١٧-على بن الحسين ت ٣٤٦ هـ - مروج الذهب ومعادن الجوهر- بيروت – ٤ أجزاء – تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد – ١٩٨٧ م .

القفطى

١٨-على بن القاضى الأشرف يوسف – أخبار العلماء باخبار الحكماء – مكتبة المتنبى – القاهرة – د.ت.

الماوردى

١٩-على بن محمد بن حبيب المصرى البغدادى – الأحكام السلطانية – القاهرة – ١٢٩٨ هـ.

قاسم

٢٠- د. قاسم عبده قاسم – اليهود فى مصر من الفتح الإسلامى حتى الغزو العثمانى – ط١- ٢٠١٥م – القاهرة .

بروفنسال

٢١-ليفى بروفنسال – الحضارة العربية فى إسبانيا – ترجمة / د. الطاهر أحمد مكى – دار العلم العربى – ط١ – ٢٠١٠م – القاهرة .

بن جبير

٢٢- محمد بن أحمد الكنانى الأندلسى – رحلة ابن جبير – الهيئة العامة لقصور الثقافة – ط ٢ – ١٩٩٨ م – القاهرة .

الخوارزمى

٢٣- محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب – مفاتيح العلوم – ١٩٣٠م – القاهرة .

الطبرى

٢٤- محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م – تاريخ الأمم والملوك – دار المعارف – ط٤ – القاهرة – د.ت .

سرور

٢٥-د/ محمد جمال الدين – تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجرى – دار الفكر العربى – ١٩٦٥م – القاهرة .

عوض

٢٦-د/ محمد رضا محمد – الطب وعلماؤه فى عصر الحضارة الإسلامية – مركز الأهرام للنشر – ط١- ٢٠١٥م – القاهرة .

المقدسي

٢٧-محمد شمس الدين أبو عبد الله – أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم – طبعة دى غوية – ليدن – ١٩٠٦ م .

المعجم الوجيز

٢٨-المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية – طبعة وزارة التربية والتعليم – ١٤١٨هـ -/ ١٩٩٧ م – القاهرة .

الصورى

٢٩-وليم الصورى – الحروب الصليبية- ترجمة / د .حسن حبشى- الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٤م – القاهرة .

الحموى

٣٠-ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦ هـ – معجم البلدان – دار صادر – بيروت – د.ت .

ثالثاً : المراجع الأجنبية

1-Mark R . Cohen.Jewish self Government in Mediecal Egypt , (Princeton University Press, 1980) P.S .

2- Ashtor,E " Prolegomena to the Medieveral History of Riental Jewry " in Ashtor (ed) the Jewesand Mediterramen . Economy, (London , 1983) .PP5 .